

النظرة نافذة للحرام



محاور الموضوع
الجهة الأولى: النظر للإعتبار
إطلاق النظر
ب. النظر إلى المحذورات
الهدف:
بيان موارد ما ينبغي النظر إليه وإيجابية الغض، وبيان تذوق حلاوة العبادة بالغض.
تصدير:
عن الإمام الصادق عليه السلام «فان البصر لا يفض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»^(١)

(١) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٤١.

مقدمة:

العين هي إحدى الحواس الخمس وقد خلقها الله سبحانه وتعالى ليتمكن الإنسان من التمييز والتفريق بين الألوان، وهي إحدى منافذ النفس إلى الطبيعة والعين جاسوس القلب ويريد العقل^(١) وما تراه العين يحفظ في القلب حتى قيل: «القلب مصحف البصر»^(٢)، فلا ينبغي أن نغض العين عن كل شيء لأن ذلك يفوت علينا الكثير من كسب العلوم وتحصيل المعارف فلا يجوز أن نطلق العنان لأبصارنا لأنه سيؤدي إلى الوقوع في المحذورات، وينبت في القلب الفسق ويولد الغفلة والتخبط في المحظورات، لأن العين إذا أبصرت الشهوة عمي القلب عن العاقبة- «والعين أقل شيء في الجسد شكراً»^(٣) وحدد الاعتدال في استعمال العين أن المرء إن نظر فليكن في نظره عبرة وإن

(١) بحار الأنوار-ج-١٠٤-ص٤١

(٢) نهج البلاغة-حكم-٤٠٩

(٣) بحار الأنوار - ج-٤٩-ص-٢٧-

وتفسير العياشي-ج-٢-ص-١١٥



والبصر باب الاعتبار^(٤) بهذا البيان فنن لنا الإمام عليه السلام الأبصار والغض وحدهما.

أ- إطلاق النظر: فلا يصلح للإنسان أن يطلق النظر ومن الفساد غضه دائماً فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من أطلق ناظره اتعب حاضره، من تتابعت لحظاته دامت حسراته»^(٥) وقال: «من أطلق طرفه كثر أسفه»^(٦)

ب- النظر إلى المحذورات: حينما نقول لا يصلح النظر إلا إلى البعض فعلياً أن ننظر في البعض الذي يصلح إليه النظر جاء في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس في البدن شيء أقل شكراً من العين فلا تعطوها سؤالاً فتشغلكم عن ذكر الله عز وجل»^(٧)، وأما ما لا يصلح النظر إليه بصورة كلية هي المحذورات وقد جاء في ذلك عن النبي عيسى عليه السلام: «إياكم والنظر

غض طرفه فليكن غضه لا عن غفلة، ولا يكون فاقد البصر أقدر من واجده، فكم من أشخاص يأتون بالعجائب وهم فاقدون لأبصارهم وكم من أفراد كثرت حسراتهم وطال ندمهم ولهم أعين كبيرة، لأن العبرة في أن القلب يبصر الأشياء بعد بصر العين أم هو مكتوب في عداد الغامضين، وحينها يصدق على صاحبها انه من أولئك الذين لهم أعين لا يبصرون بها فهم كالأنعام، ولا يستوي من يبصر من لا عين له ومن لا يبصر مع أن له عين، وكيف كان فالحديث عن النظر والبصر وعن الغض والإغماض هو حديث متشعب وطويل وسنجمه في جهتين:

الأولى: النظر

والثانية: الغض.

الجهة الأولى: النظر للاعتبار:

ولنبداً حديثنا في هذه الجهة عن حق البصر على صاحبه، فيكفيها في ذلك ما عن مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام حيث قال: «وأما حق البصر، فغضه عما لا يحل لك،

(٤) رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

(٥) بحار الأنوار -ج-١٠٤-ص-٢٨

(٦) بحار الأنوار-ج-٧٧-ص-٢٨٦

(٧) بحار الأنوار-ج-١٠٤-ص-٣٦

إلى المحذورات فإنها بذار الشهوات ونبات الفسق^(١)، وأيضاً هو مضمون وصية الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله بن جندب إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه: «ياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة، طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه»^(٢).

ج- نظر ليس له ثمر: قد يلتزم الإنسان بعملية التقنين في النظر وكذلك فقد لا ينظر إلى المحذورات فيأتي السؤال هنا: «فهل ذلك كاف لإعطاء النظر حقه أم لا؟» فالجواب هو وان كانت تلك الخطوات رئيسية وفي غاية الأهمية إلا أنها غير كافية فالإمام زين العابدين عليه السلام عندما قال بأن البصر باب الاعتبار، فالكثير الكثير قد لا ينظر إلى كل شيء أولى بعض المحرمات ولكن إذا نظر إلى الأشياء فهو مصحوب بالغلظة وعدم الاعتبار فيكون النظر لهو وهو نوع من عمى العين حكماً، ويشهد له قول أمير المؤمنين عليه السلام: «كل نظر ليس فيه اعتبار فلهو»^(٣) وفي حديث آخر «إن المؤمن إذا نظر اعتبر»^(٤).

د- قد يكون النظر عبادة: من الفيوضات الإلهية على العبد أن جعل أبواب تعبدته مشرعة أمام القاصدين ولم يجعل لها حداً لكي يصل إليه الراغبون، ومن جملة تلك الأبواب النظر إلى بعض الأشياء كالنظر إلى العالم وإلى الوالدين برأفة وفي المصحف وإلى ما يذكر الإنسان بربه وباخرته وقد ورد في ذلك عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حيث قال: «النظر

إلى العالم عبادة، والنظر إلى الإمام المقسط عبادة والنظر إلى الوالدين برأفة عبادة والنظر إلى الأخ تودّه في الله عز وجل عباده»^(٥) وقد زاد في رواية أخرى «وزاد في المصحف وفي البحر»^(٦).

الجهة الثانية: غض البصر علامة الأمانة:

عبادة الله سبحانه وتعالى لم تتوقف على الفعل وتحريك العضلات فقد تتحقق من خلال الترك والكف عن الفعل ومن جملة هذه المفردات غض البصر وترك النظر وقد صرح القرآن الكريم في ذلك بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَنْبَادِهِمْ وَحَفِظُوا أَنْفُسَهُمْ ذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُمْ﴾^(٧)، فالنظر إلى ما لايجل النظر إليه فهو زنا العين كزنا الفرج، ولذا فالغض من سمات الأمين ويدل عليه ما رواه صفوان عن الإمام الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرَهُ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾. فقال لها شعيب: أما قوته فقد عرفته بسقي الدلو وحده فبم عرفته أمانته؟ فقالت: انه قال لي: «تأخري ودليني على الطريق فانا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء... فهذه أمانته»^(٨). ولقد اعتبرت الشريعة الغراء أن الصورة البرزخية لامتلاء العين بالحرام في الدنيا هي امتلاؤها بالنار يوم القيامة كما هو مضمون الحديث^(٩) عن الرسول صلى الله عليه وآله.

فلسفة وجوب الغض:

من خلال بعض الآثار الفاسدة المترتبة على النظر ندرك الآثار

الإيجابية على ترك النظر ومما يزيد الأمر وضوحاً ما جاء في بعض الأخبار المتضمنة لبيان العلة أو جزء منها أو الحكمة عن غض البصر «لما فيه النظر من تهيج الرجال وما يدعو إلى تهيج إليه من الفساد والدخول فيما لا يحل ولا يحمل»^(١٠)، والذي يستفاد من هذه الروايات أن القاعدة الكلية في كل نظر يترتب عليه الفساد على الفرد أو المجتمع فيكون النظر حرام وغض البصر واجب.

خاتمة: حلاوة العبادة بغض النظر:

لقد سئل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بما يستعان على غض البصر؟ فقال: «بالخمود تحت سلطان المطمع على سترك»^(١١). وقد اعتبر أيضاً انه: «ما اعتصم احد بمثل ما اعتصم بغض البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهد العظمة والجلال»^(١٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «النظرة سهم من سهام إبليس مسموم من تركها لله عز وجل لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»^(١٣).

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله جاء فيها: «من تركها من مخاقتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(١٤).

جعلنا الله وإياكم من الممهدين لظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه وأرواحنا فداه.

والحمد لله رب العالمين

(١٠) عيون اخبار الرضا-ج٢-ص٩٦- وعمل الشرائع-ص٥٦٥ والبحار-ج١٠٤-ص٢٤

(١١) بحار-ج١٠٤-ص٤١

(١٢) بحار الانوار-ج١٠٤-ص٤١

(١٣) الفقيه-ج٤-ص١١

(١٤) الترغيب-ج٢-ص٢٤- ورواه

الطبراني والحاكم

(٥) المصدر نفسه-ج٧٤-ص٧٢

(٦) المصدر نفسه-ج١٠٠-ص٣٦٨

(٧) سورة النور الآية-٢٠

(٨) بحار الانوار-١٢-ص٢٩

(٩) وسائل الشيعة-ج١٤-ص١٤٢

(١) المصدر نفسه-ص٤٢

(٢) المصدر نفسه-ج٧٨-ص٢٨٤

(٣) البحار-ج٧٨-ص٦٢

(٤) المصدر نفسه-ص٥٠

